في حضرة المجهول
الأدب التفاضلي
حبيبة رجائي
دار
أكاديمية الكاتب
للنشر الالكتروني

في حضرة المجهول

الأدب التفاضلي

خواطر

م/حبيبة رجائي

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: في حضرة المجهول

المؤلف: حبيبة رجائي

تصنيف الكتاب: خواطر

تصميم غلاف: عائشة عمارة

المقاس ١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-20-1-260203

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهـــــداء..

"إلى كل مَن دخل الهندسة ظانًّا أنه «سيهوّنها»، فوجد نفسه يتكامل مع القلق، ويتفاضل مع النعاس، ويحلّ معادلات الحياة وهو نائمٌ بنصفِ عقل!

إلى الغارقين بين سطور «الماتلاب» ودهاليز «المساقط»، هذا الكتاب لكم؛ لأنه لا وقت لدينا لإعادة كتابته بعد أن نقضي ما تبقّى من عمرنا في رحاب هذه الصرح العريق.

إهداءٌ إلى مهندسي العالم (الفئة الأولى سُكّان الكوكب)، وإلى ذلك «الدكتور» الذي حين سألناه: «أنحلُّ بالرصاص أم بالجاف؟»، أجاب بوقار: «حِلّوا بقلم روج.. المهم أن تجدوا حلاً!»

وعذراً لبقيةِ البشر..

هذا الكتاب لكم أيضاً؛ لعلكم تدركون أن قلوب المهندسين ليست قطاعاتٍ خرسانية، وأن خلف كل معادلةٍ جافة، نبضاً قابلاً للاشتعال.

إليكم جميعاً.. أُهدي هذا الشتات المنظم."

المقدمة..

الأدب التفاضلي

الحب، والقلب، والمشاعر... دائرةٌ كهربية، فيها الحب منحنىً قابلٌ للتفاضل، لكنه لا يصل أبدًا إلى نقطة الاستقرار. والمشاعر؟ دوالٌّ غير خطيّة؛ أحيانًا تزايدية، وأخرى تناقصية. أما القلب.. فهو المقاومة؛ إذا زاد الحملُ عليها، احترقت.

هنا، حيث تؤول الحروف إلى الدقة، وتصبح المشاعر قابلة للاشتقاق، حيث تُشتق الدوال، وتُستخلص الأرواح، وتولد القصيدة على هيئة معادلة. هنا، حيث تلتقي الهندسة بالشِّعر، يولد "الأدب التفاضلي". تفاضلت روحي بين طيّات هذا الكتاب، فكان المدى بيني وبين الكلمات... لا نهائياً.

المشاعر ليست عشوائية، بل هي كُتلة معمارية معقّدة؛ بعضها شامخٌ كالأبراج، وبعضها هشٌّ كالأكواخ المتهالكة. القلوب مدنٌ تنمو، تتوسّع، تزدحم، وأحيانًا تنهار... بفعل زلزال خذلان، أو تصميمٍ خاطئٍ للثقة.

كل شعورٍ نحمله هو مشروعٌ إنشائيّ داخل أرواحنا؛ بعض المشاعر نؤسسها على أرضٍ صلبة من اليقين، وبعضها نبنيه على رمالٍ متحرّكة من الأوهام. نختار موادنا العاطفية بعناية: فالثقة هي الأساس المتين، والحبُّ أعمدةٌ شاهقة، لكن الخوف هو الصدأ الذي يتسلّل إلى الحديد، ليجعل البناء كلّه مُعرّضًا للسقوط.

نحاول تصميم مشاعرنا وفق معايير "الأمان العاطفي"، لكن العاطفة عنيدة؛ لا تعترف بالحسابات، ولا تخضع للمساطر. أحيانًا، تتراكم الأحاسيس كحِملٍ زائدٍ على الجسور، فتُصبح المشاعر ثقيلة... متصدّعة. الحب هو أكثر المعادلات اتّزانًا، وأكثرها قابليّة للانهيار إن لم تُراعَ "نقاط التحميل".

أمّا الفراق، فهو عملية هدمٍ دقيقة، تترك خلفها أطلالاً للذكريات، وشوارع منسية مرسومة بالحسرات. والتخلّي؟ هو عملية "إزالة" هندسية محسوبة، تحتاج إلى قرارٍ حاسم حتى لا يُهدم معها ما تبقّى من القلب. أمّا الاشتياق... فهو قوة شدٍّ داخلية؛ كلما حاولتَ الابتعاد، جذبك الماضي بقوّةٍ تفوق مقاومة النسيان.

نحن مهندسو مشاعرنا؛ نبني، نهدم، ونُرمم... لكننا دومًا ننسى أن القلب يحتاج إلى بُنيةٍ مقاومةٍ للألم، لا إلى تصميمٍ أنيقٍ فحسب. ففي النهاية، ليست المشاعر سوى هندسةٍ معقّدة بلا قوانين واضحة... قد يصمد البناء رغم كل عوامل الانهيار، وقد ينهار رغم أدق الحسابات.

.*.*.*

الباب الأول:

رسائل من قلب مهندس..

إلى من تسببتِ في انهيار اتزاني:

كنتُ كمنشأ مستقرّ، حتى دخلتِ حياتي دون حساب للأحمال الزائدة. ابتسمتِ، فزادت العزوم على قلبي، ولم تُراعِ أن مقاومته محدودة. الآن أنا بحاجة إلى ترميم، أو إلى مهندسةٍ بارعة تتقن حسابات الهوى.

..*

إلى تلك التي أرهقت حساباتي:

كُنت أظن أن كل دالة قابلة للتكامل... حتى جئتِ أنتِ. أحاول اشتقاق مشاعرك، فأجدها غير مستمرة؛ لا تُرسَم، ولا تُفهم. أأنتِ معادلةٌ من نوعٍ جديد؟ أم قلبكِ متحوّل القيم؟ أجيبي... قبل أن تتكسر الأقواس!

..*.

إلى الزميلة التي سرقت شراييني بدل أقلامي:

في أول محاضرة، رسمتِ على الهامش قلباً، وضعتِ فيه اسمي... فانحرفتُ عن كل خطوط التصميم، ونسيتُ أن القلب لا يُبنى بلا قواعد، لكنكِ كنتِ نقطة ضعفي... بلا أساس.

..*.

إلى مَن قُلت لها "الأحمال موزعة بالتساوي":

أقسمتُ أني لن أُحب قبل أن أنتهي من مشروع التخرج... لكن حبكِ هبط على قلبي كحمولة مركزية فجائية! فانهار التصميم، ولم أعد أميّز بين الإجهاد والتأثر... ولا أدري: أأُصلح القلب أم أستسلم للانهيار؟

..*.

إلى من أصبحتِ نقطة التقاء انحناءاتي:

كلما حسبت زاوية ميل مشاعري... وجدتها تشير إليكِ. أشعر أن قلبي مثل "كمرة كابولية"، وأنتِ الحمل المفاجئ في نهايتها. أخشى أن تستمري فيتحول الهوى إلى انهيارٍ هشّ، لكني ما زلتُ أظن أن حبكِ مقاومٌ لكل العوامل الجوية.

..*.

إلى قلبٍ يشبه "الدالة المثلثية":

أحبكِ في كل موجة... ثم أعود فأفقدكِ في قاع السكون؛ تزدادين ثم تَقِلّين، كأنكِ موجةٌ جيبية في قلبٍ ساكن، لا أستطيع تثبيتكِ، ولا أقدرُ على الرحيل عن مداركِ.

..*.

إلى تلك التي خطّطت مداري وخرجت:

كنتُ جسماً يدور في مداركِ؛ تدور الأيام، وفي كل مرةٍ أمرُّ بكِ وكأنها المرة الأولى. لكنكِ خرجتِ عن النظام دون سابق إنذار، فانهار مداري، وتحطّمت قوانيني، وأصبحتُ مجرد شهابٍ تائهٍ بلا مسار.

..*.

إلى من ظنّتني حجرًا لا يشعر:

أنا مهندس، نعم، لكن قلبي ليس قطاع خرسانة. في كل مرة تتحدثين فيها، أُعيد تحليل أحاسيسي، وأُراجع مقاومة قلبي، فأكتشف أنه... هشٌّ جداً أمامكِ.

..*.

إلى صديقي الذي يفهمني دون تحليل:

يا من كنت معي في المعمل قبل أن نفهم معنى "الإجهاد"، وقبل أن نكتشف أن أكثر ما نحتاج إليه حقاً هو "راحة المادة".

..*.

إلى شريك المحاضرات المسروقة والنوم أثناء "السكاشن":

هل تذكر حين رسمنا الدالة في الهواء بدل اللوحة؟ وحين حسبنا كمية القهوة بدلًا من مساحة القطاع؟ كنتَ صديقي في كل لحظة إجهاد، وكأنك ركيزة (Support) لا تترك الجسر ينهار.

..*

إلى من اختبر معي أصعب المعادلات:

يا صديقي، لقد كنا دائمًا مثل نقطتين بينهما جسر (Beam) من الضحك، ورد فعل (Reaction) من الفهم العميق، حتى إن سقط أحدنا، كان الآخر هو القوة المعاكسة التي ترفعه.

..*.

إلى صديقي صاحب المسطرة المكسورة وابتسامة النتيجة:

كنت تقول: "المادة مش صعبة، بس مش سهلة"، وأنا أصدقك... لأنك جعلت حتى أصعب الأبواب تُفتح. لولا وجودك، لصارت حياتي مثل "كمرة" غير مستقرة بلا تثبيت. أما الآن، فأنت في معادلتي... "ثابتٌ لا يُشتق".

الباب الثاني:

همسات في الغزل الهندسي..♡

✿ أدبيات على منحنى التفاضل

✿ على منحنى التفاضل، حينما تكون الدالة قلبي والمستقل أنت.

✿ أنا منحنى مقعرٌ نحو قلبك، لا تزيدني المسافات إلا انحناءً إليك.

✿ في معادلة الحنين، أنت "القيد" الذي يمنعني من الوصول إلى نقطة الاتزان.

✿ أنا معادلة بلا حل، وأنت معامل مجهول، فمتى نجد القيمة التي تجمعنا؟

✿ قلبي دالة متزايدة بك، لكنك حدٌ ثابت لا يُشتَق شوقه لي.

✿ أأبقى دالة متزايدة في غيابك، أم أبحث عن "نقطة انقلاب" تعيد الاتزان لهذا القلب المتذبذب؟

✿ حاولت تكامل لحظاتنا، علّني أجد تحت منحنى الذكريات مساحاتٍ من الدفء.

✿ قلبي دالة متصلة، لكن حضورك يحوّله إلى "نقطة حرجة" لا يُمكن تجاهلها.

✿ عندك يصبح الميل صفراً، وكأنك نقطة انقلاب في مسار شعوري.

✿ كلما اشتقت إليك، زاد معدل تغير نبضي... كأن قلبي يشتق الحنين نحوك.

✿ أنت حدٌّ لا نهائي في تفاضل قلبي، لا أستطيع الوصول إليه، لكني أميل نحوه دوماً.

✿ أشعر بك في كل تزايد مفاجئ للنبض، وكأنك "المشتقة الثانية" لمشاعري.

✿ في غيابك يصبح قلبي دالة تناقصية، تنحدر مع الزمن نحو الفراغ.

✿ كيف أشرح لكَ أن شوقي لا يُرسم بمنحنى، بل يُحدَّد بدالة غير قابلة للتكامل!

✿ كل محاولات نسيانك كانت تساوي الصفر عند الاشتقاق.

✿ ربما نلتقي عند نقطة تقاطع دوالنا، في زمنٍ تكون فيه المعادلة ممكنة الحل.

✿ أنت الإزاحة الثابتة في منحنى شعوري؛ لا تتغير ولكن تُغيّر كل شيء.

✿ صمتي معك دالة مستمرة، لكن اشتياقي متقطع، يبحث عن اتصال.

✿ نحن دالتان بيننا حد مشترك، نقترب ولا نلتقي، كمستقيمات لا تتقاطع في مستوى الزمن.

✿ كل تفاضل في وجودك يمنحني سرعة شعورية أكبر... أكاد أنفجر عند المشتقة الثالثة!

✿ أنت نقطة تماسٍ في قلبي، لا يُفكّ اقترانك دون أن ينكسر الخط.

✿ أراك اقتراناً متصلاً في مساري، لا ينقطع مهما تبدلت الإحداثيات.

✿ كيف أنسى، وأنا أعيش في "مجال" دالتك، وأدور حولك كنقطة مرجعية لا تزول؟

✿ كلما اشتقّ الحنين، زاد الميل إليك... وقلّ اتزاني.

✿ قلبي متجه، وأنت محور الارتكاز... لا ينحرف إلا إليك.

✿ في فضاء قلبي، لا توجد حدود عليا لوجودك، فقط امتداد نحو اللانهاية.

✿ كل الطرق تؤدي إلى قلبك، كأنك مركز دائرة لا يُغيّره الشعور.

✿ لعلك تمثل في معادلتي جزءاً ثابتاً... لكنه أثقل من كل المتغيرات.

✿ ما بيننا ليس توازياً... بل تقاطع حتمي على بُعد شوقٍ لا يُقاس.

✿ في كل نقطة حرجة، أجدك الحل الوحيد الذي يعيد الاستقرار.

✿ ليتني أكون نصفك في معادلة، تكتمل بك وتُحلّ بك.

✿ كلما حسبت احتمالية نسيانك، وجدت النتيجة صفرية.

✿ أنت ثابت في دالة متغيرة، لا يتأثر ولا يزول، رغم كل اشتقاق.

✿ حين تتقاطع عيوننا، أشعر وكأننا مستقيمان التقيا خارج حدود المنطق.

✿ في كل تفاضل لقلبي، تخرج أنت كـ "مشتقة أولى" للحب.

✿ شوقي إليك زاوية حادة، كلما مر الوقت ازدادت حدّتها.

✿ الاشتياق لك مسار مغلق، لا أخرج منه إلا لأعود إليه.

تـكاملات وجـدانيـة..

✿ أجمع لحظاتي معك كما نجمع المساحات تحت منحنى دالة دافئة؛ لا أبحث عن القيمة النهائية، بل عن الدفء الذي يتراكم في كل نقطة مرورك.

✿ قلبي دالة مستمرة، لكنّه لا يُشتق بسهولة؛ هو لا يظهر ميله الحقيقي إلا حين يتكامل معك.

✿ مشاعري متصلة بك اتصالاً لا يقبل الانقطاع، وكل لحظة قربٍ منك هي "تكامل غير محدود" للسكينة.

✿ تراكَمَ الوجد في صدري كما تتراكم القيم تحت منحنى الحنين؛ لا يُرى بالعين لكنّه يُحسّ كقيمة عُظمى لا تُقدَّر.

✿ أنت لي كحد علوي لدالة الذكريات، مهما اقتربتُ لا أصل، لكني أظل أتكامل نحوك!

✿ كنا نقطاً منفصلة حتى جمعنا القدر في "تكامل وجداني"، باتت فيه المسافة بيننا صفراً والمساحة لا تُقاس.

✿ حين أحببتك، صار الزمن متغيراً مستقلاً، وأنا دالة لا يُحدّ ميلها إلا بمقدار وجودك.

✿ لم أكن إلا نقطة على محور الوحدة، حتى تكاملت بك فأصبحتُ ذات بُعد وعمق وشعور.

✿ كل لقاء بيننا مساحة محصورة بين دالتين: أنت، وأنا... وفي المنتصف شوق لا يُرسم.

✿ أنت الثابت في معادلتي، حتى وإن تغيّرت المعطيات، وجودك يجعل كل شيء قابلاً للحل.

✿ الحب ليس خطاً مستقيماً، بل موجة تامة التكامل، كل ذرواتها تؤدي إليك.

✿ حين تنظر لي، تتغير كل ثوابتي، وأدخل في "منطقة لا خطية" لا يُفسرها إلا القلب.

مشـــاعر متـــغيّرة

✿ كلما ظننتك حداً ثابتاً في قلبي، تفاضلت مشاعري لتكشف أنك "متغيّر عشوائي".

✿ في زمن اللايقين، كنت النقطة الوحيدة التي أردت تثبيتها في معادلتي.

✿ لا أريدك مشتقاً أول ولا ثاني، أريدك "الدالة الأصلية" التي تسكنني بتمامها.

✿ منحتك مساحة في رسومي، فصرتَ انحداراً حاداً كاد يُسقطني من اتزاني.

✿ شعوري بك ليس خطياً، بل دالة متزايدة أحياناً، ومتناقصة أحياناً، لكنّها لا تقترب من الصفر أبداً.

✿ اعتقدتك في البداية مبدأ اشتقاقي، ثم اكتشفت أنك نهاية غير معرفة.

✿ مشاعري نحوك ليست ثابتة، بل تنحرف عن المتوسط؛ كلما ظننت أني استقررت، جئتَ أنت بـ "انحراف معياري" جديد.

✿ أحببتك كدالة دورية، تعود كل فترة، لا تنتهي ولا تستقر.

✿ علاقتنا كدالة جيبية، أعلو بها إلى القمم ثم أسقط فجأة إلى القيعان، ولا أستطيع الفكاك من هذه "الدورية".

✿ أحياناً تكون في مجالي، وأحياناً أخرى تنتمي إلى مجموعة "القيم المرفوضة" التي لا يجوز الاقتراب منها.

✿ لم تكن العلاقة بيننا خطية، بل انحرفت عن الاتجاه في كل لحظة، حتى ضاعت نقطة البداية.

✿ هل تدري أن القلب يقيس الحنين بتكاملات الشعور؟ لكنك دائماً خارج "مجال التكامل".

✿ كنت أظنك حلاً تقريبياً، فتبين أنك معادلة معقدة لا تملك جذوراً حقيقية.

إقتــران شـــعوري

✿ □ في قلبي اقترانٌ، مجاله مفتوحٌ لك، ومداه لا نهائيٌّ من الحنين.

✿ □ أنا دالةٌ موجبةٌ في حضورك، وسالبةٌ في بُعدك، لكني دومًا متصلةٌ بك.

✿ □ حبكِ دالةٌ مترددة، تزدادُ قيمتها ثم تنخفض، لكنها لا تنعدمُ أبدًا.

□ ✿كلما حسبتُ مشتقةَ مشاعري، وجدتكَ أنتَ "العامل الثابت" فيها.

✿ □ أنا اقترانٌ دوري، كلُّ اشتياقٍ لي يعاودُ الظهور بفترةٍ زمنيةٍ ثابتة اسمها "أنت".

✿ □ حين أنظرُ إليك، أرى في عينيك "نقطة تحوّل"، تُغيّر اتجاه انفعالاتي دون إذن.

✿ □ في معادلة الوجدان، أنت "العامل الحاسم"؛ إن وُجدتَ اتزنَ قلبي، وإن غبتَ اختلَّ كلُّ شيء.

✿ □ مشاعري تجاهك ليست خطية، بل تسيرُ على منحنىً متشعب، تارةً انفعال وتارةً استقرار، لكنها لا تميلُ لغيرك.

✿ □ أنا دالةٌ لا خطية، لكنك نقطةُ الثبات الوحيدة في حياتي المتذبذبة.
✿ □ وددتُ لو كنتَ معادلةً سهلة الحل، لكنك زرعتني وسط تناقضاتٍ غير قابلة للتفكيك.

✿ □ في خوارزميات القلب، لا يُحسبُ نبضي إلا عند "اقترانِ" وجودي بوجودك.

✿ □ كلما حسبتُ تكاملَ لحظاتنا، وجدتُ تحت المنحنى مساحةً من الذكريات لا تُقدّر بثمن.

✿ □ لا أنت "حدٌّ أعلى" فأرتاح، ولا "أدنى" فأنجو، بل أنت اقترانٌ لا نهائي لا ينكسر.

✿ □ في مخطط شعوري المتغيّر، تبقى أنت "المعامل الثابت" الذي يُعادل كل الانحدارات.

✿ □ حبك ليس خطًّا مستقيمًا، بل منحنىً يحتوي كل نقاط الانحراف الممكنة... وأنا فيه "نقطةٌ عظمى" لا تتكرر.

✿ □ كلُّ ما فيّ دوالٌ متعددة، وأنت "المشتركُ الأعظم" بينها.

✿ □ إن غبتَ، تنقطعُ استمراريتي، وإن حضرتَ، أتصلُ بك حدَّ الانسجام.

✿ □ تذبذبُ الشعور لا يعني انعدامه، بل هو "ترددٌ" في اقترانٍ دوري، أمواجُه أنت.

✿ □ عندما يضيقُ صدري، أبحثُ عنك كأنك "مجالٌ مفتوح" لا يُحَدّ.

✿ تسارعُ نبضي عند رؤيتك يجعلني أتيقّن أن الشعور... دالةٌ من الدرجة الأولى.

الباب الثالث:

مختارات هندسية..

✿ الثابت المطلق

في معادلاتِ العشق، أنتَ الثابتُ المُطلق، وفي اشتقاقِ العمر، كلُّ الطرقِ تؤدّي إليك. مهما دالتْ عليكَ الأيّامُ وتقلبتْ، ستظلّ نقطةَ الاتزانِ في منحنياتِ قلبي.

✿ مراتب الحب

إذا كانت الحياةُ دالةً كثيرةَ الحدود، فأنتَ الحدُّ الأعلى في كلّ المراتب. وإنْ كان الحبُّ تفاضلًا، فمشتقُّك الأول هو الشغف، والثاني هو الأمان. أما إذا وصلتُ للتكامل، فلا نهايةَ له إلا في حضنك.

✿ انعدام الحدود

حينما يحلُّ حضورُك في معادلتي، تصبحُ كلُّ ثوابتي متغيرة، وتنعدمُ الحدودُ بين الممكنِ والمستحيل. وإن حاولتُ اشتقاقَ شعوري نحوكَ، وجدتُه دائمًا متزايدًا؛ لا يميلُ إلى نقطةٍ حرجة، ولا يعرفُ سكوناً.

✿ قانون الجذب الثالث

كنتُ في فضائي كتابعٍ بلا نقطةِ بداية، وحين التقيتُك، صار لي "قانونُ نيوتن الثالث" معنى؛ فكلما اقتربتَ، زادت قوةُ جذبك لي. بيننا مجالٌ مغناطيسي لا يخترقُه قانونُ الطبيعة. حتى في أشدِّ لحظاتِك تعقيدًا، أراك معادلةً خطّية يمكن تبسيطُها، لكنني أفضّل أن تبقى دالّةً غير قابلةٍ للحل، لأقضي عمري كلَّه في محاولةِ فكّ شيفرتك.

✿ نقطة الانعطاف

في مداري، كنتُ جسمًا طليقًا بلا معادلةٍ تصفُ حركتي، حتى وقعتُ في مجالِ جاذبيتِك، فصار لسرعتي حدٌّ لا أتجاوزه. أنت نقطةُ انعطافي، حيث اشتقَّ قلبي مشاعره عندك. وجدتُ فيك دالّةً متصلةً على امتداد أيّامي؛ كلُّ محاولاتي للتكاملِ مع غيرك كانت تنتهي بصفر، كأنني دالةٌ فرديةٌ تُلغى على محورِ الحياةِ دونك. فإن كنتَ معادلتي، فأنتَ دالّتي الوحيدة التي تقودني إلى اللانهاية.

✿ الدالة غير القابلة للقسمة

في معادلاتي القلبية، كنتَ الثابت الذي لم يتغير، لا في الزمان ولا في المكان. وحين اشتقّيتُ منك شعوري، وجدت أن كل مشتقٍّ يفضي إلى مزيدٍ من التعلّق. كنتَ دالةً متصلة في محوري، لا تنقطع ولا تُلغى، وكلُّ محاولةٍ لتقريبي من غيرك كانت كالميل عند نقطة حرجة... لا يُعرّف. أنت دالتي الوحيدة التي تُعرّف في كل نقاط القلب، ولا تقبل القسمة على أحد.

✿ استثناء نيوتن

في فضاء شعوري، كنتَ القوة المؤثرة، وحين تحرك قلبي في خطٍّ مستقيم، كنتَ أنتَ العامل الذي غير اتجاهه. قانون نيوتن الثالث للعشق يقول: "كل مشاعر تُطلق، يقابلها شوق مساوٍ في المقدار، مضاد في الاتجاه"... لكنني كنتُ أستثنيك دائمًا؛ فكلما أطلقتُ لك حنينًا، أعدته إليّ مضاعفًا، حتى لم أعد أعرف: هل أنا المتحركة إليك؟ أم أن الجاذبية منك أقوى من كل ما فيَّ من توازن؟

✿ الإحداثي الأول

حين دخلت حياتي، أدركت أنني كنت مجرد نقطة حائرة في فراغ لا يُقاس، لا أمتلك أصلًا، ولا أُعرّف من أي محور. لكنّك كنت الإحداثي الذي أعاد لي تعريفي. معك فقط، أصبحتُ دالة قابلة للتكامل، كل منحنياتي تنساب في اتجاهك. كنتَ مرآة التناظر في وجعي، والمحور الذي انعكست عليه ابتسامتي.

✿ اللاتوقع الجميل

كثيرًا ما وصفتك بأنك حدٌّ أعلى، لا تصل إليه الدالة مهما اقتربت. كلما حسبت النهاية وأوشكت على الوصول، تغيّر سلوكك كما تفعل الدوال غير المنتظمة. لكن العجيب، أن هذا "اللاتوقع" منك كان الطمأنينة ذاتها. كنتَ كمنحنى لا يُمكن توقّع انعطافاته، لكنّي أحببت أن أظلّ سائرة فيه، فقط لأرى أين تأخذني النقطة التالية.

✿ كسر المتجهات

قانون الجذب بيننا كُسر عدة مرات، لا لأن الفيزياء تراجعت، بل لأن القلوب لا تُقاس بالمتجهات. أحيانًا كنتُ أنا الساكن وأنتَ المؤثر، وأحيانًا كنتَ أنت المتردد وأنا نقطة استقراري الوحيدة. لكن دائمًا، كنتَ أنت المجال، وأنا الشحنة التي تدور حولك دون انقطاع، ولا تريد مغادرة مدارها.

✿ □ مسار غير خطي

ما بينَ ثوابتِ الفؤادِ ونقاطِ "اللامعنى"، تتبدل المشاعر بينَ الدوال المتغيرة. أجدُني في مسارٍ غير خطي؛ دائمًا في تغيّر، دائمًا في تصاعد. أنتَ الدالة التي تعطي لقلبي قيمة، وفي حضورك أصل إلى حالة التجانس ونقطة الاستقرار.

✿ □ دالة لا تُفهم

هي دالةٌ لا تُرسم، مجهولة الحدود، كثيرة الأقطاب، لا تعرف الاتزان ولا تنتظم على محورٍ واضح. تارةً تبتسم كقوسِ مكافئ، وتارةً تنكسر كمنحنى دون مشتقة. حاولتُ تمثيلَها بيانياً، لكنها تتهرّب من كل محور، تُراوغ الخطوط المستقيمة، ولا تقبل أن تكون "ثابتاً" لأي قلب. لكنها رغم ذلك... تؤثّر، تُحير، وتترك أثراً لا يُنسى في كل رسمٍ نبضي.

✿ □ تكامل لا متناهي

حين أتكامل معك، تختفي جميع المعادلات؛ لا تقاس المسافات بيننا، بل نجد أنفسنا في حدودٍ لا نهاية لها. أنت تكامل مشاعري، وأنا تكامل قلبك، نتبادلَ الموقع والاتجاه، فنصبح في النهاية "واحداً" لا ينقسم.

✿ □ مرونة القلب

مشاعري ليست ثابتة، لكنها مرنة، قابلة للتكيف مع الزمن، وأنتَ "الإجهاد" الذي يختبر تلك المرونة؛ كلما ابتعدت، زاد توتري، وكلما اقتربت، استعدتُ توازني. أنت قدرتي على التكيف مع الحياة في كل تقلباتها.

الباب الرابع:

✿ حكايات نقطة

✿ ثابتٌ لا يتغير

كان ثابتاً وسط فوضى، لا يتبدل، كلما مرَّ متغيّرٌ قابله بثباتٍ واحتواء. لا يشبه أي حدٍّ أعظم، ولا يُقارن بأي ثابتٍ آخر؛ فقد كان لقلبي "أصل الاتزان"، ونقطة الثقة في معادلة الخوف. وحين جاءت هي، "نقطةً" بلا اتجاه ولا تعريف، لم يسألها: "ماذا تساوين؟"، بل قال: "هل لي أن أحتويكِ داخل قوسي؟". فصارت جزءاً من معناه، أحبته فاستقرت، أما هو فظلّ "الثابت الذي لم يتغير".

✿ استقرار نقطة

في فضاءٍ لا يُحَد، تجولت نقطةٌ تبحث عن معادلة تضمن لها الثبات، فوجدت ثابتاً هادئاً يحتضنها بلا شروط، يرسم لها مساراً مستقيماً في دوامة "اللايقين". وهناك، في ذلك الانسجام الهندسي، استقرت هي؛ فأصبحت جزءاً من نظامٍ لا يتزعزع، حيث لا ضياع، بل انتظامٌ ينبض بهدوء الحياة.

✿ منحنى التماس

على منحنى التماس، التقت نقطتان من بُعدين متوازيين؛ لا الزمن جمعهما، ولا الهندسة خططت للقاء. لكن قوانين الكون انحنت لحظة، فاشتعلت شرارةٌ في الفراغ واهتز السكون. تقول قوانين الفيزياء إنه على "نقطة التماس" تلتقي النقطتان مرة واحدة ثم يمضي كلٌّ في مساره، فظن الجميع أن اللقاء عابر، لكن النقطتين كسرتا المعادلة؛ فبدل أن تفترقا، كوّنتا محوراً جديداً، وصارت معادلتهما: "حيث نكون.. يكونُ الفضاء لنا".

✿ النقطة المرجعية

في فضاءٍ متعدد الأبعاد، تاهت النقاط تبحث عن تموضعها، عن معنى، عن بداية تُقاس منها المسافات. حتى ظهر هو كـ "النقطة المرجعية"؛ لم يكن الأكبر ولا الأذكى، لكنه كان الأكثر تأثيراً، كلُّ ما حوله يُقاس به، كأنه ميزان الاتزان في معادلةٍ لا تستقر.

اقتربت منه نقطةٌ صغيرة، قالت: "هل لي أن أستقر إليك؟"، فردّت المرجعية: "أنا لا أفرضُ وجودي، لكن إن تمسكتِ بي، فستُحسب كل أبعادكِ مني، وستدور الدنيا حول حضوركِ الثابت".

ابتسم في سكونٍ وردّ بهمسٍ هندسي: "الثبات ليس في النقطة نفسها، بل فيمن يختاركِ لتكوني له البداية".

✿ توازن استاتيكي

كان واقفاً على حافة المسافة بينهما، تماماً كنقطة اتزان في معادلة معقدة؛ لا هو قادر على الاقتراب خطوة ليكسر "ثباته"، ولا هو راغب في التراجع لكي لا ينهار الهيكل بأكمله. كان يظن أنه في حالة "اتزان استاتيكي"، لكن الحقيقة أنه كان مجرد حملٍ زائد على نقطة ضعفٍ لا يراها. أما هي، فكانت تحسب الزمن بالدورات، وتقيس مشاعرها بالإحداثيات القطبية، وكلما حاولت إيجاد "ميلٍ" للعلاقة، وجدت أن منحنى المسافة غير قابل للاشتقاق. وفي النهاية انهار النظام؛ ليس بسبب قوة خارجية، بل لأن الإجهاد الداخلي كان أكبر من قدرة التحمل.

✿ النقطة الحُرّة

كانت نقطةً حرة، لا تنتمي إلى أي محور، تتجول في الفضاء وترسم مسارات عشوائية. ظنّت أن الحرية في "اللاانتماء"، إلى أن صادفت منحنى لا يقيد ولا يُقيَّد، سار بجانبها يرافق حركتها دون أن يفرض اتجاهاً. قالت له: "ألست تود أن تثبتني على مسارك؟"، فردّ بهدوء: "لستِ بحاجة لتثبيت ما دمتِ تسيرين باختياركِ، فالحرية ليست في الفراغ، بل في أن تختاري من يشارككِ المسار".

✿ نقطة في قيد

كانت نقطة صغيرة داخل قوسين مغلقين، محصورة في معادلة لا تفسير لها. مرت بها دالة منحنية وقالت: "لمَ لا تتحررين؟"، أجابت النقطة: "أنا جزء من قيد لا أفهمه، وإن خرجتُ سيفقد كل شيء توازنه". ابتسمت الدالة وقالت: "بل قد تكونين أنتِ مفتاح التوازن، فالقيد لا يثبت إلا بوجود نقطة تحمل المعنى". فهمت النقطة حينها أن بعض القيود لا تُكسر، بل تُفهم.. ثم تُعاد صياغتها لتمنحنا مساحة أوسع.

✿ النقطة الشاردة

كانت نقطة حرة، تطفو بين المستويات، يسمونها "شاردة" وهي ترى نفسها "مستكشفة". وحين سُئلت: "ألا تخافين الضياع؟"، قالت: "إنني لا أُقاس، لذا لا أُحدّ، وما دام قلبي يتحرك، فأنا ما زلت على الخريطة". التقت بخط مستقيم قال لها: "مكانك ليس على محوري"، فردت: "لكن ربما أكون نقطة تقاطع.. تصنع فرقاً ولو للحظة".

✿ نقطة التوازن

في فضاء يميل دوماً نحو اتجاهٍ واحد، كانت المعادلات تنهار، حتى ظهرت نقطة لم تكن في المنتصف تماماً، لكنها حين وُضعت، عاد الثقل لمكانه. قالت إحدى الدوال: "أليست نقطة صغيرة؟!"، فأجاب ثابتٌ قديم: "بل هي مركز الثقل؛ لا تُرى أهميتها من حجمها، بل من أثرها في الاتزان".

✿ نقطة تقاطع

كانت تسير على محور الزمن، وكان يسلك محور الصمت. لم يجمع بينهما شيء، حتى تقاطعا ذات شعور. كانت اللحظة قصيرة، لكن عند "نقطة تقاطع المشاعر" يتوقف الزمن، ويتكلم الصمت، وتتلاشى المسافات. سألها بعد حين: "هل تتذكرين؟"، قالت: "كنتَ نقطة تقاطع.. تركت أثراً أبدياً في زمنٍ مؤقت".

✿ النقطة الفاصلة

لم تكن نهاية ولا بداية، بل كانت فاصلة بين جملتين من نفس القلب. قالت: "أنا لا أُنهي الكلام، بل أمنحه حقاً في التنفس". وهكذا كانت الضرورة؛ تماماً كما يكون الصمت بين نغمتين هو ما يجعل للموسيقى روحاً.

✿ نقطة النهاية

في دفتر المعادلات، تتزاحم الرموز، لكن لا تكتمل الحكاية حتى تأتي "نقطة النهاية". ليست فناءً، بل ختماً يُعلن أن القصة قِيلت كما ينبغي. سألها متغير: "لماذا لا تستمرين؟"، فأجابت: "لأن القيمة الحقيقية لا تكتمل إلا إذا عرفنا متى نتوقف".

الباب الخامس:

مشاعر مهندس

تفاضُل القلب

إذَا استوَتِ المشاعِرُ علَى منحنى
فلا خَطُّها المستقيمُ يُدانِي
تفاضَلَ الحبُّ حدَّ الاشتعالِ
ومَا عادَ في القلبِ شيءٌ يُعاني
تحدَّدَ في الحبِّ قَيْدُ المجالِ
ولكنَّهُ في الصدورِ تفانِي
تقاطعتْ شوقًا، وعزمًا، ونبضًا
فصارَ الشعورُ كظلٍّ يُدانِي
تباينَ نبضي على منحنًى
كأنّي السكونُ، وكلّي تفانِي
وفي كلّ ميلٍ سكنتُ ارتدادًا
فأصبحتُ بين الدوالِ مَكاني
وإن جئتَ يومًا بقلبٍ سقيمٍ
ففي راحتَيْكَ ارتضَى أن يُصانَ

متجهات الشوق

إذا الشوقُ مدَّ خُطاهُ دفّاقًا
فكيف يُرَدُّ اتّساعُ انطلاقهْ؟
جهاتي تُشيرُ إليكَ يقينًا
وكلُّ الدروبِ تُؤازرُ سِيَاقهْ
توازى الحنينُ بسطحِ الضلوعِ
فأرهقَ قلبي، وزادَ اختناقهْ
تسارعتُ نحوكَ دونَ اتّزانٍ
فزلزلَ وجدي عنيفُ اشتياقهْ
إذا كنتَ تدري مدارَ اشتياقي
فلِمَ تتجاهلُ محيطَ اشتباقهْ؟
وهل يُنكرُ البحرُ دفقَ الجداولِ؟
وهل يَعبُرُ النهرُ دونَ اعتناقهْ؟
فمهما ابتعدتَ، ستبقى الجهاتُ
تميلُ إليكَ بكلِّ لَباقهْ

نهج المشاعر

إذا ما المشاعرُ خلَتْ طريقًا
أقمنا لها نهجَ دربٍ وثيقًا
وإنْ ساءَ حبٌّ، ومالتْ قواهُ
رفعنا دعائِمَهُ، علّهُ أن يُفِيقَا
وفي العشقِ نجدُ امتدادَ المدى
يصولُ، ويجري شعورًا أنيقًا
فإنْ مالَ قلبٌ بغيرِ اتّزانٍ
وجدنا له في الهوى أن يُفِيقَا
إذا المستقيمُ تعالى لأعلى
فحتمًا سيبلغُ أفقاً رقيقًا
وإن ظلَّ يسري بدون انتهاءٍ
فذلك حُبٌّ، دَعْهُ يبقى عميقًا

قلبٌ على منحنى التفاضل

تفاضلَ قلبي إذا ما رآكْ
فصار اشتقاقي هواكَ هناكْ
وميلُ المشاعرِ خطٌّ يطولُ
إذا مِلتَ عني... يبوحُ الهلاكْ
أنا دالةٌ فيك، كلّ اقتراني
يعودُ إليك، وإن طالَ سُراكْ
وفي كل نقطةِ حُسنٍ تمرّ
ينادي الحنينُ: أما آنَ لُقياكْ؟

نقطة تحوّل

كأني على الرسمِ نقطةُ ميلْ
تغيّرَ بي خطُ حبٍّ ثقيلْ
إذا بك تماسكتُ زادَ اتزاني
وإن غِبتَ عنّي... يميلُ السبيلْ
كأنّك في القلبِ حدُّ انفجارٍ
يحرّكُ وجدي، ويُحيي الذهولْ
فلا أنا أبقى ولا أتلاشى
إذا ما اقتربتَ، يضيعُ الدليلْ

دالة الحب

أيا من جعلتَ المشاعرَ دالا
تزيدُ ارتفاعاً، وتغدو مآلا
أراكَ اشتقاقَ الليالي الطويله
ونقطةَ قلبي، وخطَّ المجالا
إذا ما كتبتُ الهَوى في حسابٍ
وجدتُكَ أولَ حَدٍّ نوالا
وكنتَ ثوابتها والمجاري
تعودُ إليكَ... حبيبًا حلالا

اشتقاق العشق

قلبي اشتقَّكَ من شوقٍ دفينْ
فأضحتْ دُروبيَ سطرَ الحنينْ
وكلُّ تزايدِ وجدي دليلٌ
بأنك في القلبِ حدُّ اليقينْ
وفي كل ميلٍ أراكَ ارتكازي
تثبّتني حينَ يعلو الأنينْ
كأنكَ محورُ رسمِ وجودي
فلا أستقيمُ بغيركَ... حِينْ

✿ ومضات رياضية

مشتقة الهوى:

تسلسلتُ فيكَ كما الاشتقاق،
أنقصُ منّي، لأبلغَ فيكَ الكمالْ،
أُشتقُّ وجدي على سطرِ غيابك،
فلا يستقرُّ... ولا يعرفُ الزوالْ.

بين القوسين:

وضعتكَ في قلبي بين قوسين،
لا شرطَ قبلك، ولا بعدكْ بيانْ،
أُقفل عليكَ حدودَ اشتياقي،
وأجعلكَ دومًا مدى الوجدانْ.

اتزان اللحظة:

حين تساوى الميلُ بيني وبينك
استقامتْ كلُّ المشاعرِ والحنينْ،
فلا ميلَ يُخلُّ باتزان الهوى،
ولا زاويةٌ في المدى قد تَلينْ.

القيمة العظمى:

بحثتُ بعيني عن قيمةٍ عظمى،
تُعرّف قلبي على نبضِ الأمانْ،
فكنتَ القمّة في كلِّ ميلٍ،
وكل احتمالاتي دونك نقصانْ.

دالة مستمرة:

أنتَ دالةُ حبٍ بلا انقطاعٍ،
متصلةٌ في عمقِ أيّامي جميعْ،
وإن بدتْ الحياةُ خطوطَ تكسّر،
فنبضُك فيَّ يبقى المدى الوسيعْ.

خاتمة الكتاب

في نهاية هذه الرحلة، لم نصل إلى «نقطة نهاية»، بل إلى معادلةٍ مستمرة؛ فالعاطفة لا تنضب، والوجدان لا يُحَدّ، والحب لا يُختصر في رمزٍ أو ثابت.

كتبنا لنثبت أن القلوب تُشتق، وأن الحنين له ميل، وأن المشاعر – كالدوال – تمرّ أحياناً بنقطة انقلاب، لكنها لا تنتهي.

إلى من ظنّ أن الهندسة جمود، أهديك هذا النبض المحسوب. وإلى من رأى في الرياضيات صرامة، دعك ترى فيها دفء الخيال.

«في حضرة المجهول» لم يُكتب ليُفهم، بل ليُشعر؛ فإن وجدتَ نفسك بين سطوره، فاعلم أن هذا هو الحل الحقيقي...

والباقي، تفاصيل تترك للمجهول.

تمت

م/ حبيبة رجائي

لمتابعة الكاتبة على الانستجرام:

https://www.instagram.com/habiba_ragaie?igsh=azc0YW8xeHVqejJu

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023